منبر الجمعة
مجموعة خطب مختارة
المجموعة الخامسة

تأليف

عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر

مصدر هذه المادة :

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان بالقضاء والقدر

الحمد لله عالم السر والنجوى، المطلع على الضمائر وكل ما يخفى، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، أحمده سبحانه، وعد المخلصين الدرجات العلى، وحذر المشركين به نارًا تلظَّى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكمل الخلق توحيدًا وأبرهم عملاً وأتقاهم لله رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى أيها الناس وأطيعوه، وأخلصوا له العبادة ووحدوه، واعلموا أن أفضلَ ما وعظَ به الواعظون؛ وذَكَّر به المذكِّرون معرفة الله تعالى بأنه رب العالمين، الرحمن الرحيم، المالكُ المتصرفُ ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وأن جميع الكون وكل ما فيه خلقُه ومُلكه وعبيده وتحت ربوبيته وتصرفه وقهره.

عباد الله: لقد أخبر ﷺ - وخبرهُ صدق — عن افتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم ضُلَّال إلا فرقة واحدة هي التي وافقت هدي الكتاب والسنة وسارت على نهج المصطفى ﷺ ونهجِ أصحابه من بعده، وإن هذا الافتراقَ شاملٌ لكل أمور الدين والعبادة، ولكن إطلاقَه يبادر إلى ذهن قائله وسامعه التفرقَ في باب التوحيد

والاعتقاد، لأن هذا الباب هو الباب الـــذي إذا كســـر لا يمكـــن إصلاحه إلا بإعادته جديداً كما كان، فلا يُصلح فيه باب فيه ثقوبٌ أو خللٌ، فأهل الزيغ والضلالِ في باب الاعتقاد طوائفُ شتى وفرقٌ عديدة كل فرقة فَرِحَةٌ بما عندها.

أما أهل السنة والجماعة الذين ساروا على النهج، فإنهم علـــى خط مستقيم في هذا الأمرِ، بل وفي جميع أمورهم، ولكن في بـــاب العقيدة والتوحيد يخصونه بمزيد اهتمام ومزيدِ عنايةٍ؛ لأن الضـــلال فيه ضلال كبير ليس كالضلال في غـــيره، والخطـــأ في التوحيـــد والعقيدة ليس مثل الخطأ في غيره، وأكثر ما جـــاء الانحـــرافُ إلى طوائف شتى في هذا الباب بسبب أمرين:

أولهما: الجهل، فكثير هم الذين يجهلون أمور مُعْتِقِدِهم، وقليل من يتحدث عنها، ولو أن الناس إذا جَهلوا شيئًا سألوا عنه لبلغـــوا مُرادهم، ولكن على نفسها جَنَتْ، ولا ينَـــال العلـــمَ مســـتحٍ ولا مُستكبرٌ.

أما السبب الثاني: فهو أن فِئامًا منهم أخذوا هذا العلمَ من غير مصدريْهِ وهما الكتابُ والسنةُ.

العقل — أيها الناس — لا دخلَ له في بابِ العقيدة؛ لأنها مـــن باب الغيب، والغيبُ لا يُعْلَمُ إلا بوحي.

إذا كان ذلك كذلك فاعلموا أيها الناس أن عليكم أن تعلموا أن دينَ المرءِ يقوم على ستةِ أصول: هي كالعُمُدِ للبنيان لو ســـقط منه عمود سقط البناءُ أو لا يزال متخلخلاً.

ستةُ أصول ينبغي لكل مؤمن ومؤمنة الإيمانُ بها والإقرارُ بمضمونها، إيمانًا لا خللَ فيه، وإقرارًا لا نقصَ فيه، لَخَّصها رسول الله ﷺ حينما جاءه جبريل عليه السلام في صورة أعرابي غريبٍ فسأله عن الإيمان فقال: «**أن تؤمنَ بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ وباليوم الآخرِ وتؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه**».

الإيمان بالقضاء والقدر زلَّت فيه أقدامُ، وضلَّت فيه أفهامُ، وتحيَّرتْ فيه عقولٌ، تَنَازَعَ الناسُ في القدر منذ زمنٍ بعيدٍ حتى في زمنِ النبوة، كان الناس يتنازعون ويتمارون فيه، ولقد روي أن الرسول ﷺ خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر فنهاهم عن ذلك، وأخبر أنه ما أهلك من قبلهم إلا تَنازُعُهم فيه.

ولا يزالُ الناسُ إلى يومنا هذا يتجادلون فيه، ولكن الله هدى عبادَه وفتح على المؤمنين من السلف الصالح بالعدل فيما عَلِمُوا وما قالوا؛ لأنَّ الحقَ فيه واضح لا مِراءَ فيه.

عباد الله: الإيمان بالقدر جزءٌ من أنواع التوحيد الثلاثة: توحيدُ الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات، فمن أنواع توحيد الربوبية: الإيمان بقدر الله، ولهذا قال الإمام أحمد: القدرُ قدرةُ الله.

أيها المؤمنون: لا بد لكل مؤمن بالقضاء والقدر الإقرارُ بأربعة أمور هي معنى القضاء والقدر، من أقر بها فقد استكملَ إيمانَه بهذا الركنِ ولا عليه بعد ذلك من تفاصيلِ العلماء التي دعت إليها مُجَادلة أهلِ الباطلِ.

أول هذه الأمور: العلمُ بأنَّ الله قد أحاط بكل شيء علمًا،

فيؤمن الإنسان إيمانًا جازمًا لا شكَ فيه بأن الله بكل شيء علـــيم، وأنه يعلمُ ما في السموات والأرض جملة وتفصيلاً، سواءٌ كان ذلك من فعله أو من فعل مخلوقاته، وأنه لا يخفى عليه شــيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما مضى وما هو حاضرٌ الآن وما هو مستقبلٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَـا فِـي السَّـمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَـا حَبَّـةٍ فِـي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّـا فِـي كِتَـابٍ مُـبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦]، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، من أنكــر هذا الأمرَ فقد كفر؛ لأنه ليس ضِدَّ العلمِ إلا الجهلُ، ومن قال إن الله جاهل فقد دخل في أمر لا خلاصَ له منه.

إذا أقرَّ الإنسانُ بهذا الأمر فليعلم بعد ذلك أن كلَّ شيء مـن أمور الدنيا منذ خلقها الله إلى يوم القيامة مكتوبٌ في اللوح المحفوظ عند الله سبحانه، يقول ﷺ: «**إنَّ أولَ ما خلق الله القلمَ، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن، فجرى القلمُ في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة**»، يقول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، فكلُّ شيءٍ معلومٍ عند الله، وهو مكتوبٌ عنده في كتاب.

ولما سُئل ﷺ **عما نعمله أشيءٌ مستقبل أم شيءٌ قد مضى منه وفُرِغ؟ قال**: «**إنه قد مضى وفرغ منه**»، **وقال له الصحابة: أفلا**

نَتَّكِلُ على الكتاب المكتوب وندعُ العمل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسرٌ لما خُلِق له**»، وتلا قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ رواه البخاري ومسلم.

روى مسلم في «صحيحه» **عن عبد الله بنِ عمرو أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كتب اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ»**.

عباد الله: إذا أقر المرء بهذا الأمر فليعلم أن كل ما في هذا الكون فهو تحت مشيئة الله، فلا يكُونُ شيء إلا إذا شاءه الله سبحانه، سواءٌ من فِعْله أو من فِعْلِ مخلوقاته: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

أما آخرُ الأمور الأربعةِ التي مَنْ أقرَّ بها فقد استكمل الإيمان بالقضاء والقدر فهو أن يقرَّ بأن جميع الكائنات مخلوقةٌ لله تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالله عز وجل هو الخالقُ وما سواه مخلوق، ما من موجود في السموات والأرض إلا والله خالقه، حتى الموت يخلقه الله تبارك وتعالى، يقول سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، فإذا عَلِمَ المؤمنُ ذلك فليعلم أن خَلْقَه أحكمُ خلقٍ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]،

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ شريعةٌ جاء بها جميعُ الأنبياء والمرسلين، فإبراهيمُ يقول لقومه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وموسى لما جادله فِرعون ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٠، ٥١].

ونوحٌ لما خاطب ابنَه كي ينجوَ من الغرق ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

ولما تعجَّبَ زكريا كيف يأتيه الولدُ وهو طاعنٌ في السن ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

ومريمَ البتولُ تقول: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

اللهم اجعلنا ممن يُيَسَّرون لعمل أهل السعادة، اللهم اكتب لنا الصلاحَ في الدنيا والآخرة.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

❋ ❋

الخطبة الثانية

من الإيمان بالقضاء والقدر

الحمد لله، خلق فسوَّى وقدَّر فهدى، له مقاديرُ السموات والأرض، وهو على كلِّ شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، بيده الخلقُ والأمرُ، وإليه يُرجع الأمرُ، لا راد لقضائه ولا دافعَ لأمره، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاعلموا أيها الناس أنَّ المؤمنَ ما دام يسيرُ في هذه الدنيا وهو متمسكٌ بدينه قولاً وفعلاً فلا شك أنه سَيجد السعادة في دنياه هذه ويومَ القيامة ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

عباد الله: إنَّ المؤمنَ إذا آمن بالقضاء والقدرِ اعتمد على الله عز وجل وحده عند فعله للأسباب بحيث لا يعتمدُ على السببِ نفسه؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى، فالمريض مثلاً: يشربُ الدواءَ ويترك الطعام طلبًا للصحة، فيعلم أن هذه الأمورَ لا دخلَ لها، وأن الأمر كله لله وحده، هو المنزِّلُ له وهو الدافعُ، وأن المؤمن إنما يفعل الأسباب.

إذا أقر الإنسانُ بالقضاء والقدر لم يعجب بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسبابِ الخيرِ والنجاحِ، فعليه شكرُ هذه النعمة، وإعجابه بنفسه يُنسيه شكرَها، فالطالب إذا نجح والتاجر إذا رِبح، فالشكرُ لله أولاً لأنه هو الذي يَسَّر لهما ذلك لا دخلَ لأنفسهما إلا بسبب تقديرِ الله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨١].

أيها الناس: إذا اعتقد المؤمنُ عقيدةَ القضاءِ والقدرِ زال عنه القلقُ والضجرُ، حين يفوت عليه مراده، أو يحصل له ما يكره؛ لأنه يعلم أن ذلك مقدرٌ عليه من ملك السموات والأرضِ، وما قدر كائن لا محالة، عند ذلك يصبرُ ويحتسبُ، لو عَلِمَ المرضى أن المرضَ إنما جاءَ بتقدير الله سبحانه ما جزعَ مريضٌ من مرضه ولا اشتكى إلى الناس مما أصابَه.

إذا آمن الإنسان بالقضاء والقدر حصل له راحةٌ نفسٍ وطمأنينةُ قلبٍ، فلا يقلقُ بفوات محبوبٍ أو حصولِ مكروه.

أيها الناس: لا أحدَ أطيبُ عيشًا ولا أريحُ نفسًا ولا أقوى طمأنينةً ممن آمن بالقدر.

ويَجمع الله سبحانه كلَّ هذه الأمور فيقول: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا

تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

اللهم ثبتنا على عقيدةِ القضاء والقدر، اللهم حققْ لنا ثمراتها، وزِدْنا من فضلك، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد غذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

اللهم صل على عبدك ورسولك محمد.

* * *

وصـــــايا نبـــــوية

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـــه، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعـــــد:

فإنَّ الوصيَّة أيها الناس أن تتقوا الله في كلِّ أمورِكم، فإن تقوى الله مِفْتاحُ كل خير في الدنيا، وهي الموصلة إلى الجنة في الآخـــرة، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِــمْ لَــهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

عباد الله: الإنسانُ في هذه الحياةِ بلا هدفٍ أشبه بالحيوان منـــه بالإنسان، لا يمكن أن يستقيم أمرَه إلا إذا سار لهدف الخلق؛ وهـــو إقامةُ دينِ الله والسير عليه، ما أجمل أن يعيشَ الإنسانُ في هذه الدنيا مقيدًا بالكتاب والسنة، يرعَوي لأوامرهما، وينتهي عن نواهيهما، إن سمع حقًّا استجاب له، وإن رأى باطلاً أعرض عنه، ضاعت عنـــده المقاييسُ إلا مقياسَ الإيمان الذي به يرتفعُ الشخص، وبه يســـمو، وبالإخلال به يهوي المرءُ في ظلمات الانحدارِ.

عباد الله: إن سنة المصطفى ﷺ هي المنبع الثريُّ للهدى والنُّور، هي معين لا ينضبُ، وحقٌ لا يعطبُ، وإن وقوفَ المرءِ عند حديث من أحاديث المصطفى ﷺ الخارج من مشكاة النبوة يحملُ الـــنفسَ

على أن تعرف أسراره وتستضئ بأنواره، فلا تنفك نفسُ المـؤمن تأخذ الدروسَ والعبر من هذا الكلام، ثم هي بعد ذلك وقَبْله تؤمن بالنبي المصطفى ﷺ وأن ما جاء به حقٌ، وكأنما قيـل الآن، كـلامٌ صريحٌ لا فلسفةَ فيه، ولا تَنَطُّقَ ولا تَنَطُّعَ، لأنـه ينطـق عـن الله سبحانه، كلما أعاد المؤمنُ النظرَ في أحاديث محمد ﷺ عَلِمَ عِلْـمَ اليقين أن هذا الدينَ صالحٌ لكل زمانٍ ومكانٍ ، وأن أي عمـلٍ لم يكن موافقًا لهدي محمد ﷺ فلا شكَ هو ضلالٌ «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًـا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**».

أيها الناس: لَخَّصَ الرسولُ ﷺ هذا الدينَ ووصفه وصفًا جامعًا فقال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، إن الإنسان لابد أن يحتاج إلى نصـيحةِ غيرِه من الناس، يَدُلُّونه على الخير ويُحَذِّرُونه من الشَّرِّ، وفي حديث آخرَ لمسلم: «**حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ: إذا لقيتَه فسلِّمْ عليه، وإذا دعاك فأجبْه، وإذا استنصَحك فانصَحْ له**»، لكن إذا كانت النصيحة صادرةً من مشكاة النبوة فما أروعها وأصدقها وأنصعها.

عباد الله: روى الإمام أحمد في مسنده **عن أبي ذر** ﷺ **قـال: أمرني خليلي ﷺ بسبعٍ: أمرني بِحُبِّ المساكين والـدُّنو منـهم، وأمرني أن أنظرَ إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هـو فـوقي، وأمرني أن أصلَ رحمي وإن أدبرتْ، وأمرني أن لا أسـألَ أحـدًا شيئًا، وأمرني أن أقولَ بالحق وإن كان مرًا، وأمرني أن لا أخـافَ في الله لومةَ لائمٍ، وأمرني أن أُكثرَ من قول لا حولَ ولا قـوةَ إلا بالله، فإنهن من كنزٍ تحت العرشِ**».

ما أجمعها من نصيحةٍ صدرت من خيرِ ناصــح ﷺ، ويجتمــع معها وصيةٌ أخرى قالها ﷺ **لمعاذ بن جبل** ﷺ **قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات، قال:** «**لا تشرك بالله شــيئًا وإن قُتلــت وحُرِّقت، ولا تَعُقنَّ والديك وإن أمراك أن تخرجَ مــن أهلــك ومالك، ولا تَتْرُكَنَّ صلاةً مكتوبةً متعمدًا، فإن من ترك صـــلاةً مكتوبةً متعمدًا فقد بَرِئَتْ منه ذمةُ الله، ولا تشربن خمرًا فإنه رأسُ كلِّ خطيئة، وإياك والمعصيةَ، فإن بالمعصية حلَّ سخطُ الله، وإياك والفرارَ من الزحفِ؛ وإن هلك الناسُ، وإن أصاب الناس موتانِ وأنت فيهم فاثبت، وأنفق على عيالك من طَوْلــك، ولا ترفــعْ عنهم عصاك أدبًا، وأَخِفْهم في الله**». رواه الإمام أحمد وروى ابن ماجه بعضه.

عباد الله: ما أحوجنا جميعًا أن نعيش حياتنا على وفــق هــذه النصائح؛ فإنها ما تركت شيئًا إلا ذكرته.

أهم أمر في هذه الدنيا هو توحيد الله، وإخلاصُ العبــادة لــه وحده لا شريك له، ولا يستقيم الإيمانُ للمؤمن إلا بالصبر على هذا الطريق مما قد يُصاب المتمسكُ به من الأعداء؛ إما من الشــيطان أو من شياطين الإنس.

إبراهيم عليه السلام خليلُ الرحمن أُوقِدت له نارٌ ليس لها مثيل، كلُّها لأنه آمن بالله، وجاء خبَّابٌ إلى رسول الله ﷺ وهو مُتوسِّد بردةً له في ظِلِّ الكعبة فقال: يا رسول الله، ألا تستنصرُ لنا، ألا تدعو لنــا، فقال: «**كان الرجلُ فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعلُ فيه، فيُجاءُ بالمنشار فيوضَعُ على رأسه فيُشقُ باثنتين وما يَصده ذلــك**

عن دينه، والله ليُتمنَّ الله هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموتَ لا يخافُ إلا الله أو الذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون» [رواه البخاري]، إن بين تضاعيف التاريخ صورًا من محاولات للصدِّ عن هذا الدين، ولكن ما أجمل وصية الرسول ﷺ «**لا تشرك بالله شيئًا وإن قتلت وحرقت**».

أيها الناس: أعظم الواجبات بعد توحيد الله إقامة الصلاة حقَ الإقامة؛ لأنها عمودُ الدين وهي الفارقةُ بين الرجل والشرك، المتساهلُ بها محبطٌ لدينه مردٍ لنفسه إلى الهاوية، ولقد صدق رسول الله ﷺ: «**ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فقد برئت منه ذمة الله**».

والصلاة أكبر رابط بين المرء وبين ربه، فلا غرو أن يكون المرءُ محفوفًا برعاية الله ما دام محافظًا على الصلاة، فأما من تركها فقد نقض العهدَ فآن لشياطين الإنس والجن أن تتخطفه.

عباد الله: من يخالطُ الناس عليه أن يعطيَ كل صاحب حق حقَه، وأعظمُ الحقوق حق الوالدين اللذين هما سبب نُشُوؤك ووجودك، ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء: ٢٣]، إن حق الوالدين من أعظم ما يجبُ على الولد، بل لقد بلغ من ذلك أن يَتَخَلَّى الإنسانُ من أهله ومالِه لأجلهما يقول ﷺ: «**لا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك**».

لا يعيشُ المرءُ بدون علاقاتٍ وقراباتٍ، ولقد جاءت الرحمُ وتعلَّقت بالعرش فقالت لله: هذا مقامُ العائذِ بك من القطيعة، فقال: أما ترضين أن أصلَ من وصلك وأقطعَ من قطعك، قالت: بلى،

قال: فذلك لكِ، ويقول ﷺ: في وصيته هذه: «**وأمرني أن أصل رحمي وإن أدبرتْ**». نعم أيها الناس: ما أكثرَ الأرحامَ المقطوعةَ؛ حين جعل الواصلُ هدفَه ردَّ الصلة، جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي رحمًا أصِلُهم ويقطعوني، وأحسنُ إليهم ويُسيئون إليَّ، فقال ﷺ: «**لئن كنتَ كما تقول فكأنما تُسفُهم الملَّ، ولا يزالُ عليك من الله ظهيٌر عليهم ما دمتَ على ذلك**».

إن الحياة الدنيا أيها الناس: طبقاتٌ ودرجاتٌ، ومن رفع رأسه أكثرَ من قدره سقط، ومن طلب ما ليس له لم يدركه، وفاته ما له، يقول أبو ذر رضي الله عنه: «**وأمرني أن أنظرَ إلى من هو دوني، ولا أنظرَ إلى من هو فوقي**»، ما تراكمت الديون على الناس إلا حين نظروا إلى من فوقهم وطلبوا ما ليس لهم، وفي الحديث الآخر قال: «**فإنَّ ذلك أجدرُ أن لا تزدروا نعمةَ الله**»، وإن من أعظم ما يُثبت هذه القاعدةَ عباد الله: الدنو من الضعفاءِ والمساكين بالعطف والإحسان والشفقة، فإن من عرفَ ما فيه حالَ من دونه أوشكَّ أن يوصله الله إلى ما يريد.

أيها الناس: العقل ميزان الأمور، فإذا فقد الإنسانُ عقلَه صار خطؤه أكثرَ من صوابه، ألا وإن الخمر هي المفسدةُ للعقل والمُتلِفة له، يقول ﷺ: «**ولا تشربنَّ خمرًا فإنه رأسُ كلِّ خطيئةٍ**»، إذا تلف عقل المرء فقد ضيعَ دينه ووقع في المعاصي والموبقات، وما نزل سخط من الله ولا أرسل عقوبةً إلا بسبب هذه المعاصي والذنوب ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

فاتقوا الله أيها الناس وتمسكوا بهدي نبيكم تضمن لكم الحيـــاة السليمة من المكدرات في الدنيا والآخرة.

بارك الله لي ولكن في القرآن العظيم...

❋ ❋

الخطبة الثانية

من وصايا نبوية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يُحِب ربنا ويَرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس، واعلموا أن هذا الدينَ لا يقومُ إلا بالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، وما لن يتآمر الناسُ ويتناهوا فيما بينهم فقد آذنوا على أنفسهم بالعقوبةِ، إن الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عـــن المنكر يحتاجُ إلى إيمانٍ يُوجدُ عند المرء خوفًا من الله يزولُ عنده كلُّ خوف، يقول أبو ذر في هذا الحديث: «**وأمرني ﷺ أن لا أخافَ في الله لومة لائم**»، إن كلمةَ الحق لابد من صدورها، فإنها إذا تُركَت ضاعتْ حقوقٌ، وأُهدرت أموال، وتجرأَ الجهُّالُ على الله عز وجل، يقول أبو ذر رضي الله عنه: «**وأمرني ﷺ أن أقولَ بالحق وإن كان مُرًّا**»، إن قولَ الحق أمر أولُه عند قائله مرارة، وآخره حلاوةً وســـعادةً، ولا

يصل إلى النهاية من لم يَطأْ في طريقه أشواكًا.

عباد الله: أشرف الأعمال أن يَعمل الإنسانُ بيده، يأكلُ وينفق ويتصدق، وما أكل المرء أفضل من أكله من صُنع يديه، ولقد كان نبيُّ الله داودَ لا يأكلُ إلا من عمل يده، ولقد رعى النبي ﷺ الغـــنمَ لقريش على قراريطَ يأخذها منهم.

إن الحاجة إلى الناس مَذلَّةٌ، ومن طلب من غيره أمـــرًا صـــغيرًا فيوشك أن يطلب منه أمرًا كبيرًا، ولقد كان صحابة رسول الله ﷺ ﷺ يسقطُ السوطُ من أحدهم فينزلُ من فوق دابته فيأخـــذه ولا يطلب من أحد شيئًا، كل ذلك امتثالاً لوصية الرسول ﷺ لهم.

يقول أبو ذر: «**وأمرني أن لا أسأل أحدًا شيئًا**»، ويقـــول في حديث معاذ: «**وأنفق على عيالك من طولك**» أي من كســـبك وعمل يدك.

عباد الله: الأبناء زينة الدنيا، ويبقى ذكر المرء ما بقي له أبنـــاء، يحملون خيرًا ويورثون خيرًا، وينشأون بين الناس على الخـــير، ولا يكونون كذلك ما لم يجدوا أبًا مربيًا وأمًّا ناصحة، يقول معـــاذ في حديثه: «**ولا ترفعْ عن عيالك عصاك أدبًا**»، وتأملوا قوله في آخر الحديث «**وأَخِفهم في الله**»، إن التربية مهما سَمت وعلَت مـــا لم تكن مربوطة بالخوف من الله، واستشعار عظمته وحقه؛ فإنها على شفا جرف هار.

أيها الناس: إن هذه الوصايا التي صدرت من محمد ﷺ لابد أن يَعلم المرء معها أنه ما من شيء في هذه الدنيا إلا وهو تحت مشـــيئة

الله وقدرته، وأنه لا قدرة للمرء على شيء ما لم يُقدِره الله عليـــه، ولهذا ختم ﷺ نصيحته بقوله لأبي ذر رضي الله عنه: «**وأَمرني أن أُكثر مـــن قول: لا حولَ ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش**»، إن ارتباط المؤمن دائمًا بربه؛ بذكره وحمده وثنائه؛ يوجد عنده الصـــبر على ما أصابه، وعدم الحزن على ما فاته.

اللهم صل على معلم الناس الخير والناصح لهم نبينا محمد.

* * *

القنوات الفضائية

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـــه، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلامُ الله تعالى، وخير الهدي هدي محمـــد ﷺ، وشر الأمور محدثاها وكلَّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس: إن الوصية لكم جميعًا هي أن تتقوا الله تعالى حـــقَ التقوى، فإن التقوى هي خير لباس، وأفضل زاد، وما علا شخص وارتفع إلا بتقوى الله سبحانه، فاتقوا الله تعالى في جميع أوقـــاتكم وراقبوه، واذكروا نعمه عليكم، وإياكم وكفرها فإن كفرها مـــن أسباب نقم الله، وإن نقمَ الله بعباده شديدة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُســـهِمْ وَأَنَّ اللَّـــهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

عباد الله: إننا مع مضي الليالي والأيام لا نزداد إلا رُســـوخًا في صدق ما جاء عن الله وعن رسوله، ونزداد أيضًا علمًا بأن ما جـــاء عن الله وعن رسوله صالح لتعاقب الأيام والدهور، وأنه ما من شيء إلا وقد بين الله حكمه وبينه رسوله ﷺ.

وأن هناك قاعدة لابد أن تكون راسخةً في عقل كل مســـلم: هي أن خوف الرسول ﷺ على أمته شديدٌ، وأن الأوائل والأواخر

من أمته سواء، حتى إنه أخبر أصحابه عن أشياء لن تقع في عهده هو، وحذَّر هو منها خوفًا على الأمة، ومن ذلك سؤال حذيفة بن اليمان: هل بعد هذا الخير من شر؟ فلما أخبره بما سيقع قال: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتابُ الله وسنتي**».

إنه ما من أمر حذر منه رسول الله ﷺ إلا وتحذيره عامٌّ لكل زمان ومكان.

أيها الناس: إن ثمة أمرًا ثبَّته الله ورسوله ليعلمه كل مؤمن ومؤمنة على طول الزمن، وهو أن أعداء الإسلام يُخططون لسلب المسلمين دينهم وأموالهم والقضاء عليهم ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [البقرة: ١٠٥]، ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ**﴾ [النساء: ٨٩].

إن مثل هذه الآيات ترسخ قاعدة عظيمة وهي سعى المشركين لإفساد الدين وهدمه بأي طريق.

لأجل هذا جاء النهي صريحًا من الله عز وجل ومن رسوله ﷺ بتحريم كل ما قد يكون سببًا لإزالةِ دين المسلم، ومن أعظم تلك الأسباب مخالطةُ المشركين وحبهم والتشبه بهم؛ لأن المخالطة تقتضي ولا شك امتزاجًا وتداخُلاً.

عباد الله: إن من أعظم ما يُفسد دين المسلم ويجعله رقيقًا هو: السفر إلى بلاد الشرك والوثنية، يقول ﷺ: «**أنا بريءٌ من مسلم يقيمُ بين ظهراني المشركين لا تراءى ناراهما**» [رواه أبو داود والترمذي].

إن بلاد الكفار فيها من الكفر والإلحاد والانحطاطِ في الأخلاق والسلوك ما يجعل المرء يأنف من البقاء فيها، فكيف والنهي في ذلك ظاهر والدليلُ قائم، جاء جرير بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ وهو يُبايع فقال: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك، واشترط علي فأنت أعلم، قال رسول الله ﷺ: «**أبايعك على أن تعبد الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتُناصح المسلمين، وتُفارق المشرك**»، أخرجه النسائي والبيهقي وأحمد بسند صحيح.

وجاء عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تُساكنوا المشركين ولا تُجامعوهم، فمن سَاكنهم أو جَامعهم فهو مثلُهم**».

وروى البيهقي أنه ﷺ قال: «**من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذِّمَّة**».

وروى النسائي وابن ماجه بسند حسن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّ مسلم على مسلم محرم، أخوان نصيران، لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعدما أسلم عملاً أو يُفارق المشركين إلى المسلمين**».

إن مفاسد السفر إلى بلاد المشركين ليست بتلك الخفاء حتى نحتاج إلى أن نعددها، ولكن في أحيان كثيرة يكون السفر إلى بلاد

من بلاد المسلمين أشد ضررًا من السفر إلى بلاد الشرك وإن اجتمعا في الضرر، ذاك أنها بلدان يميع فيها الدين باسم التمسك به، وضعوا لهم علماءَ سوءٍ يُزينون لهم ما يريدون.

وظلم ذوي القربى أشد فظاظة
على النفس من وقع الحُسام المهنَّد

أيها الناس: إنني أتكلم عن سفر ليس في أذهان الكثير، بل حتى لا يحسبونه سفرًا، إنه ليس السفر المعتاد الذي ينال المسافر فيه مشقة وتعب؛ ففيه حِلٌّ وارتحالٌ، وفيه غربة عن الأوطان.

إنني أتحدث عن سفر لا يحتاج إلى جوازات ولا حجوزات، سفر لا يحتاج المسافر فيه إلى أخذ أُهبة واستعداد، سفر ليس للمسافر فيه سن معين، سفر لا يحتاج المسافر فيه إلى مُرافق؛ بل مرافقه الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء، سفر المسافر فيه أمير نفسه يذهب كيف شاء، ويتنقل بين البلدان كلما رغب عن بلد ذهب إلى بلد آخر، سفر يخلو الرجل فيه بمن شاء من نساءٍ كاسيات عاريات، يضحك معهن ويقلب بصره في حُسنهن، قد انتُزع منه حياؤه.

إنه يا عباد الله سفر: المرأة فيه تسافر لوحدها لا مَحرم معها، تختلط فيه مع الرجال، تضحك لضحكهم وتحزن لحزنهم، ووالدها ينظر، وزوجها يبصر، وأخوها يعلم، ولكنهم لا يحركون ساكنًا.

الصغير في هذا السفر له متعة خاصة؛ ولكنها هادمة للعقيدة مفسدةٌ للفطرة منافية للأخلاق، يتعلم الصغير في هذا السفر ما

يستحي من الحديث عنه الكبار.

لا غرو إذن عباد الله: أن يعود الناس من هذا السفر بعقائدَ منحرفةٍ وفطرٍ منكوسةٍ وأخلاق فاسدة، إن الناظر فيما يستجد بين المسلمين اليوم من أعياد شركية، أو بدع قولية أو فعلية؛ لو تأمله الإنسان لعلم أن مُبتدأه تأثرُ الناس بالمشركين عن طريق هذا السفر، أَمَا كان جديرًا بنا إذن أن نتكلم عن أصل المشكلة قبل أن نتكلم عن أطرافها، وأن نَسُدَّ الباب من أصله!!!

ما تحدث الناس وفتحوا أفواههم في الحديث عن المرأة وحاولوا تغريبها، إلا لأن أعداء الملة أظهروا لهم المرأة عبر هذا السفر في صورة لها وجهان: وجه ظاهر مزين أمام الناس، والخفي عارٍ من الأخلاق هي فيه سلعةٌ رخيصة لا وزن لها.

إن السفر الذي أتحدث عنه هو سفر الإنسان بعقله وقلبه إلى بلاد الانحلال والشرك والمجون عبر القنوات الفضائية التي غزت بيوت فِئامٍ من الناس.

إن السفر إلى هذه البلدان عبرَ القنوات الفضائية أشد ضررًا وخطرًا، وأقبح نتيجة من السفر إلى تلك البلاد بالجسم بالطرق المعروفة؛ لأن المسافر بجسمه يستطيع أن يقارعَ الحجة بالحجة والدليلَ بالدليل، لكن الناس الذين يقضون أوقاتهم أمام هذه القنوات هم فقط يتلقون ويسمعون لا أقلَّ من ذلك.

عباد الله: إن هذه القنوات الفضائية التي رَضِيَ ناس أن يُدخلوها بيوتهم محرمة شرعًا؛ وإنه وإن تَجوَّز ناس بإباحتها إلا أنهم

يقرون ولابد بأن ما فيها من خير غارق في بحر من الظلمات، ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] والحرمةُ تقدم على الإباحة، ذلك لأنها وإن سلِمت من الدعوة إلى الشرك الصريح، فلم تَسلم من الدعوة إلى الانحلال الخُلقي والفكري والسلُوكي، ولن تسلم من عُلماء سوءٍ يزينون للناس ما أرادوا باسم السهولةِ والتيسير.

وأكبر شاهد على ذلك: أننا صرنا نسمع ونقرأ عمن يتحدثون ويشككون في أمور هي من مُسلَّمات العقيدة ويُجادلون فيها، وما جاء ذلك منهم إلا تأثرًا بمثل هذه القنوات.

أما جانب الأنباء والأخبار في هذه القنوات فحدِثْ ولا حرجَ، كم قلبت من حقائق، وكم أُثيرت من فتن، وكم كُبِّر من صغير وعُظِّم من حقير بسبب نشرة أنباء أو تحليل أخبار، ونَسي الناس أن أكثر هذه القنوات قد سبحت في بحر الصهيونية أو خاضت في غِمار الماسونية.

عباد الله: إذا وجد الحياء في نفس المرء منعه من الكثير، وحال بينه وبين الحقير من الأمور، وأما إذا خلع المرء بُرقع الحياء، ولم يَعد في وجهه للمروءة ماء، أتى السيئات وهو يَظن نفسه مُحسنًا، وتجرأ على المنكر الشنيع، وهو يحسبه هينًا، وقد قال ﷺ: «**إن مما أدركَ الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**».

بارك الله لي ولكم...

* *

الخطبة الثانية

من القنوات الفضائية

الحمد لله الصادق في وعده، المتصرفِ في خلقه، وأشهد أن لا إله إلا هو سبحانه، يَعد المُحسن فيوفيه وعده، ويتوعَّد المسيء فيوقع عليه وعيده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، كان رفيقًا بأمته يبحث الخير لهم ما استطاع، ويخاف عليهم من الشر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن التقوى هي الوصية لكل مؤمن ومؤمنة، فاتقوا الله أيها الناس واحذروا عقابه.

أيها الناس: هذه ثلاثة أمور هي ذكرى لكلِّ رجل رضي أن يُدخل مثل هذه القنوات في بيته:

الأولى: أن الله عز وجل قد أمر الناس أن يتقوا الله في أنفسهم، فأين تقوى الله في مثل هذه المعصية، حين تَجول ببصرك بين أمور محرمة ومنكرة.

الثانية: أن الله أمرك بأهل بيتك، وأن تقيهم من النار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، أي أنقذوا أنفسكم وأهليكم من نار الله الرهيبة الموجعة، وأنقذوا معكم أهليكم الذين تزعمون أنكم تُحبونهم، فكيف تُحبونهم وأنتم تُلقون بهم في مجالاتٍ خطرة، وعَفَنٍ ماجنٍ،

وصور منحلة.

ألا يخشى من رضي لأولاده وأهل بيته بمثل هذه الأمور من مغبَّة حديث رسول الله ﷺ الذي في صحيح مسلم، يقول عليه صلوات الله وسلامه: «**ما من مسلم يَسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»، ولا أدري هل من أحد يُنازع في أن مثل هذه الأمور من الغش للأهل والأولاد.

فإن أبيت إلا السيرَ خلف هوى نفسك ومطاوعةِ الشيطان، فأذكرك أمرًا ثالثًا: وهو أن أمامك أمرين لا محيص لك عنهما، وهي أنك تتقلب في نعم الله صباح مساء، ألا تخاف أن يَفْجأُك الله بعقوبة من عنده؛ فما أكثر العقوبات الدنيوية، هذه الزلازل ما بين طَرفة عينٍ تنتهي بلادٌ كاملة، أتظن أنك في ملجأ من الله، إن كفرَ النعم وعصيان الله في أرضه هو سبب النقم من الله.

إنك إن أبيتَ إلا الإصرار على الذنب فإن أمامك أمرًا ثانيًا لن تنجوَ منه وهو المبيتُ في حجرة مظلمة يملأ الترابُ فاك وينخرُ الدود عظامك، ثم تقف حافيًا عاريًا أمام الله يوم القيامة، ويزيد من ألمك وحسرتك أن أهلك وذويك سيتعلقون بك في ذلك اليوم يريدون حقوقهم، كيف خادعتهم وغششتهم، ستتعلق بك زوجتك وابنك وبنتك وأخوك ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة، ٢٨١]، ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النور: ٢٤]، فإلى كل شخص وضع هذا الجهاز في بيته أقول:

ستقفُ والله بين يدي الله يوم القيامة، وسيسألك فماذا ستجيب أمام علام الغيوب؟

أيها الناس: إن من يعلم بضرر هذه القنوات الفضائية وقبيح عاقبتها، ثم لا يستجيب لنداء ولا يرعوي لموعظة؛ فلا عليه إذن أن يجد على رقبة ابنه ناقوسًا أو صليبًا، ولا عليه أن يرى أبناءه يترنحون من أثر المسكرات والمخدرات، ولا عليه أن يرى بنته ومَحْرمه تُصادق فلانًا؛ وتخرج وتدخل بلا حياء ولا غَيْرة، ولا عليه إذن أن يسمع عن علاقات محرمة بين نساء متزوجات مع أخدانٍ وأصحاب.

إن ما يبصره المرء عبر هذه القنوات لابد أن يتأثر به وإن طال الزمن، ولكن الشيطان يُعمي ويُصمُّ، إن المرء قد يمضي سنوات طويلة في إصلاح أهله وأولاده ثم يفسدهم في لحظات إذا سمح لهم بمثل هذه الأمور.

عباد الله: إن الله وملائكته...

* * *

الواسطة والشفاعة

الحمد لله المتفضل على عباده بجزيل النعم، أحمده سبحانه، كم أسدى من نعمةٍ، وكم دفع من نقمةٍ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمدًا عبده ورسوله الشافع المشفع يوم القيامة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

عباد الله: حسنُ اللقاء وطيبُ الكلام، ومشاركة الأخ لأخيه في السراء ومواساته في الضراء، كل أولئك من كريم الخصال وحميد الشيم، وهذه الأمور من المعروف الذي يجب على كلِّ مسلم ألا يقلل من شأنه أن يَحتقر بذله، «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تُفرغ دلوك في إناء المستقي، ولو أن تُكلم أخاك ووجهك إليه مُنبسط**».

الناس – عباد الله – لُحْمة لا يستغنون عن التعاون، ولا يَستقِلون عن المظافر والمساعد، فإنما ذلك كله تعاون ائتلاف، يتكافئون فيه ولا يتفاضلون، ولربما احتاج شخص إلى آخر، والمحتاج إليه أقل من المحتاج، كاستعانة السلطان بجنده، والمزارع بعماله، فليس من هذا بُدٌّ، ولا لأحد عنه غنى.

أيها الناس: أعظم المعروف ما ترك في نفسٍ أثرًا طيبًا تـذكره فتشكره، وإذا كان انبساط الوجه للأخ يَعتبره الإسلام معروفًا يُؤجر عليه العبد، فكيف بما هو أكثر نفعًا وأعظمُ فائدةً تعود على الأخ المسلم، كبسط اليد إليه بالإنفاق، وكواسطة الخير في أمر مشروع، وكتفريج الكرَب عن المكروب أو دفع المكروه.

روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نَفَّس عن أخيه كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على مُعسر يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عوْن العبد ما كان العبد في عون أخيه**».

الواجب على المسلمين كافة نصيحةُ المسلمين، والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم؛ لأن من نفس كُربة من كُرب الدنيا عن مسلم نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن تَحرى قضاء حاجته ولم يكتب قضاؤها على يديه، فكأنه لم يقصر في قضائها، وأيسرُ ما يكون في قضاء الحوائج استحقاقُ الثناء، والإخوان يُعرفون عند الحوائج، كما أن الزوجة تُختبر عند الفقر؛ لأن الناس في الرخاء كلهم أصدقاءُ، وشر الناس الخاذلُ لإخوانه عند الشدة والحاجة، كما أن شرَّ البلاد بلدة ليس فيها خصب ولا أمن.

يقول الحسن البصر: قضاءُ حاجة أَخٍ مسلم أحب إلي من اعتكاف شهرين، وجاء رجل إلى الحسن بن سهل يَستشفع به في حاجة فقضاها، فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن: علام تشكرنا

ونحن نرى أن للجاه زكاةً كما أن للمال زكاة، وفي لفظ: ونحن نرى أن كَتْب الشفاعات زكاةُ مروءاتنا.

وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالبُ حاجة أقبل على جُلسائه فقال: «**اشفعوا فلتؤجروا وليقضِ الله على لسان رسوله ما أحب**». وفي رواية: عن معاوية أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجلَ ليسألني عن الشيء فأمنعه كي تشفعوا له فتؤجروا**».

عباد الله: الإفضال على الناس والإحسانُ إليهم شرف عظيم جعله الله لكل صاحب مال أو جاه، بل إن من أعطاه الله عز وجل نعمةً من مال، أو جاه فقد وجب عليه الإحسان إلى الناس، روى الطبراني في «معجمه» وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» بإسناد حسَّنه الهيثمي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد أنعم الله عليه نعمةً فأسبغها عليه، ثم جعل من حوائجِ الناس إليه فتُبرم، فقد عرض تلك النعمة للزوال**». وفي رواية: «**إن لله أقوامًا يختصُّهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرُّهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحوَّلها إلى غيرهم**».

حقيق – عباد الله – على من علم الثواب ألا يمنع ما ملك من جاه أو مال، إن وجد السبيل إليه، قبل حُلول المنية، فينقطع عن الخيرات كلها، والعاقل يعلم أن من صَحِبَ النعمة في دار الزوال، لم يَخل من فقدها، وأن من تمام الصنائعِ و أهنأها ما كان ابتداءً من غير سؤال.

إذا ضاقت بالصحابة ضائقةٌ ذهبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه الشفاعة لهم فيها عند أصحابها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إن أباه تُوفي وترك عليه ثلاثين وسْقًا لرجل من اليهود، فاستنظره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه، فكلم الرسول ﷺ اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى... إلخ الحديث.

عباد الله: يقول الله سبحانه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. وروى الجماعة إلا الترمذي عن كعب بن مالك **«أنه تقاضى كعب بن أبي حدرد دينًا كان عليه في المسجد فارتفعت أصواهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف سُجُف حجرته فنادى: يا كعب، فقال: لبيك يا رسول الله، قال: ضع من دينك هذا؛ وأشار إليه أي الشطر، قال: قد فعلت يا رسول الله، قال: قم فاقضه»**.

أيها الناس: اسمعوا إلى ما أعده الله للقاضين للناس حوائجهم والكاشفين كروهم، أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «قضاء الحوائج» بإسناد حسن، والطبراني وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أحب الناس إلى الله أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرور تُدخله على مسلم أو تكشف عنه كُربة أو تقضي عنه دينًا أو تَطرد عنه جوعًا»** إلى أن قال في آخر الحديث: **«ومن مشى**

مع أخيه في حاجة حتى تَتَهيَّأ له أثبت الله قدمه يوم تَزِل الأقدام، وإن سوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخلَ العسلَ».

عباد الله: الحاجة إلى الناس من أثقل الأمور، ألا فليعلم من ابتلي بمثل هذه أنه يجب عليه أن لا يُلحف في السؤال، فإن شدة الاجتهاد ربما كانت سببًا للحرمان والمنع، ألا وليختر المكان المناسب والزمان المناسب، روي عن عمر أنه قال: لا تسألوا الناس في مجالسهم ولا في مساجدهم فتُفحشُوهم، ولكن سلوهم في منازلهم، فمن أعطى أعطى ومن منع منع، يقول أبو حاتم بن حبان بعد أن ذكر قول عمر: هذا إذا كان المسئول كريمًا، أما إذا كان لئيمًا فإنه يسأل في هذه المواضع؛ لأن اللئيم لا يقضي الحاجة ديانة ولا مروءة، وإنما يقضيها – إذا قضاها – للذكر والمحمدة بين الناس، على أني استحب للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القديد ومص الحصى، ثم صبر عليه لكان أحرى به من أن يسأل لئيمًا حاجةً؛ لأن إعطاء اللئيم شين ومنعه حتفٌ. اهـ.

يقول خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها، ولا تطلبوها في غير حينها، ولا تطلبوا ما لا تستحقون منها، فإن من طلب ما لا يستحق استوجب الحرمان.

عباد الله: إن صنائع المعروف لا تقف عند حدٍّ، بل تتسع إلى ما لا حد له، حتى يكون في نصيب كل مسلم أن يأخذ منها بحظ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

يقول بعض الحكماء: اصنع الخير عند إمكانه يَبق لك حمده عند زواله، وأحسن والكرَّةُ لك، يحسن إليك والكرَّةُ عليك، واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك.

واعلموا عباد الله أن هناك أمورًا لا تَحل الشفاعة فيها، روى الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: **«من حالت شفاعته دونَ حدٍّ من حدود الله فهو مضادٌ لله في أمره»**.

أقول قولي هذا...

* *

الخطبة الثانية

من الواسطة والشفاعة

الحمد لله الذي وعد المحسنين بعظيم الثواب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، فإن تقوى الله هي المخرج عند الشدائد وهي المعين عند النكبات.

عباد الله: ينفر كثير من الناس لغيرهم خوفًا من عدم قبولها، ألا فليعلم أولئك أن سيد الخلائق وهو أعظم حقًا وأولى بكل مسلم من

نفسه ردت شفاعته، فما أصدر تحسرًا ولا ندمًا، ولا عاتب أحدًا.

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: كان زوج بريرة عبدًا يقال له مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ للعباس: «**ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثًا؟ فقال لها النبي ﷺ: لو راجعتيه فإنه أبو أولادك؟ فقالت: يا رسول الله، أتأمرني؟ قال: لا، ولكني أشفع، قالت: لا حاجة لي فيه**».

فلا يكونن نظرَ الشافع القبول وعدمه، إنما ينظر إلى الأجر، فإن الله قد قال: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]، ولم يقل: من يشفع فيشفع.

جاء في ترجمة عبد الله بن عثمان شيخ البخاري أنه قال: ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تمَّ وإلا قمتُ له بمالي، فإن تم وإلا استعنتُ به بالإخوان، فإن تم وإلا استعنتُ له بالسلطان.

عباد الله: العاقل الفطن لا يتَسخَّط ما أعطي وإن كان تافهًا؛ لأن من لم يكن عنده شيء فكل شيء يستفيده ربح.

وذكر ابن الجوزي قصة فقال: كان هارون الرقي قد عاهد الله تعالى ألا يسأله أحد كتابَ شفاعة إلا فعل، فجاء رجل فأخبر أن ابنه أسير في الروم وسأله أن يكتب إلى ملك الروم في إطلاقه، فقال له: ويحك، ومن أين يعرفني، وإذا سأل عني قالوا مسلم، فكيف يفي حقي؟ فقال له السائل: اذكر عهد الله، فكتب إلى ملك الروم، فلما قرأ الكتاب قال: من هذا الذي قد شفع إلينا؟ قيل: هذا قد عاهد

الله لا يسأل شفاعة إلا كتبها إلى أي مكان، فقال ملكهم: هذا حقيق بالإسعاف أطلقوا أسيره.

أيها الناس: ليس الحديث عن مثل هذه الأمور هو دعوة للناس إلى السؤال، ولكن الحاجةُ ملحةٌ والضرورة قاسية، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ولكن لا يكن الواحد كمثل ذلك الفقير الذي سمعه رجل وهو يدعو يقول: اللهم ارزق المسلمين حتى يعطوني، فقال له الرجل: أتسأل ربك الحوالة.

عباد الله: إن الشفاعة والوساطة متى ما كانت في أَمر مشروع فهي مندوب إليها، إلا أنه ينبغي ألا تكون الشفاعة هي مُسيِّرةً أمورنا وباعث إنتاجنا، إننا مطالبون بإكرام القريب والصاحب ولكن ليس على حساب تعطيل مصالح أناس لا يجدون مثل ما تجد، فمن أين لهم ما يرغبون؟

عباد الله: لست أدعو هنا أن نأخذ حقوق غيرنا عن طريق الشفاعات، فإن الرسول ﷺ قد قال: «**من اقتطع مالَ امريء مسلم بغير حق لقيَ الله وهو عليه غضبان**».

أيما شفاعة أخذت حق شخص مسلم فهي شفاعة محرمة، ينال وزرها الشافع فيها حال علمه بذلك، الشفاعة التي توصل الغِرَّ إلى مراكز الأسود شفاعةً لا خير فيها بل ضررها عظيم.

ما أجمل الشفاعة التي توصل الحق إلى صاحبه، يُوصل بها بين متخاصمين، يوصل بها أرحام متقاطعة، تُزال بها منكرات، يَنال بسببها خير للمسلمين أجمع، ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ**

أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

أيها الناس: لو أنجزنا الأعمال بمثل المسئولية التي تحملناها أمام الله – أولاً – ثم أمام ولاة الأمر، لما احتاج صاحب الشأن للبحث عن شفيع أو وسيط، ولما احتاج الشفيع إلى بذل شفاعته، ولما صار الناس رهائن الشفاعات يبحثون عنها دائمًا.

عباد الله: إن الله وملائكته يصلون على النبي...

❋ ❋ ❋

الفهرس

الإيمان بالقضاء والقدر ٥
وصـــــايا نبـــــوية ١٤
القنوات الفضائية ٢٢
الواسطة والشفاعة ٣١
الفهرس.. ٤٠

❋ ❋ ❋